

مَعْرِفَةُ
مَعْرِفَةُ

ALLAH
KNOWING
Knowingallah.com

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

نداءُ اللهِ تعالى للمؤمنين

النداء العاشر

النهي عن الربا



علي بن نايف الشحود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

النداء العاشر

النداء عن الربا

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا
مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ
تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ
فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا
تُظْلَمُونَ (٢٧٩) وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى
مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ (٢٨٠) وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ
ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ

{ سورة البقرة (٢٨١)



يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ ، الْمُصَدِّقِينَ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ ،
بِالتَّقْوَى ، فَيَقُولُ لَهُمْ : اتَّقُوا اللَّهَ وَاتْرُكُوا مَا لَكُمْ عِنْدَ
النَّاسِ مِنَ الرِّبَا (أَي مَا يَزِيدُ عَلَى رُؤُوسِ أَمْوَالِكُمْ) إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ حَقًّا بِمَا شَرَعَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ تَحْلِيلِ الْبَيْعِ ، وَتَحْرِيمِ
الرِّبَا ، وَغَيْرِ ذَلِكَ .

وَأَنْذَرَ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِينَ لَا يَمْتَثِلُونَ لِأَمْرِهِ مِنْ تَرَكَ مَا بَقِيَ مِنْ
الرِّبَا عِنْدَ النَّاسِ ، بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لَخُرُوجِهِمْ عَنِ
الشَّرْعِ ، وَعَدَمِ خُضُوعِهِمْ لَهُ ، فَإِنْ تَابُوا فَلَهُمْ رُؤُوسُ
أَمْوَالِهِمْ بِدُونِ زِيَادَةٍ ، لَا يُظْلَمُونَ بِأَخْذِ زِيَادَةٍ ، وَلَا يُظْلَمُونَ
بِوَضْعِ شَيْءٍ مِنْ رَأْسِ الْمَالِ . فَإِنْ كَانَ الْمَدِينُ مُعْسِراً لَا يَجِدُ
وَفَاءَ دَيْنِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ الدَّائِنَ بِنَظَرَتِهِ إِلَى حِينِ مَيْسَرَتِهِ ،
وَتَمَكُّنِهِ مِنْ دَفْعِ مَا عَلَيْهِ . وَإِنْ تَصَدَّقَ الدَّائِنُ عَلَى الْمَدِينِ
الْمُعْسِرِ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْسِ الْمَالِ ، أَوْ بِرَأْسِ الْمَالِ كُلِّهِ ، فَذَلِكَ
خَيْرٌ لَهُ . وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثٌ كَثِيرَةٌ فِي الْحَثِّ عَلَى تَنْفِيسِ
كُرْبَةِ الْمُكْرُوبِ وَالتَّجَاوُزِ عَنِ الْمُعْسِرِ .

وَاحْذَرُوا يَا أَيُّهَا النَّاسُ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْعَظِيمَ ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ
الَّذِي تَتَفَرَّغُونَ فِيهِ مِنْ مَشَاغِلِكُمْ الْجَسَدِيَّةِ وَالْدُنْيَوِيَّةِ الَّتِي
كَانَتْ تَصْرِفُكُمْ عَنْ رَبِّكُمْ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَيُجَازِي
اللَّهُ كُلَّ بِعْمَلِهِ ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا ، وَلَا تُنْقِصُ
نَفْسٌ مِنْ ثَوَابِهَا ، وَلَا يُزَادُ فِي عِقَابِهَا .



إن النص يعلق إيمان الذين آمنوا على ترك ما بقي من الربا .
 فهم ليسوا بمؤمنين إلا أن يتقوا الله ويذروا ما بقي من الربا .
 ليسوا بمؤمنين ولو أعلنوا أنهم مؤمنون . فإنه لا إيمان
 بغير طاعة وانقياد واتباع لما أمر الله به . والنص القرآني لا
 يدعهم في شبهة من الأمر . ولا يدع إنساناً يتستر وراء
 كلمة الإيمان ، بينما هو لا يطيع ولا يرتضي ما شرع الله ، ولا
 ينفذه في حياته ، ولا يحكمه في معاملاته . فالذين
 يفرقون في الدين بين الاعتقاد والمعاملات ليسوا
 بمؤمنين . مهما ادعوا الإيمان وأعلنوا بلسانهم أو حتى
 بشعائر العبادة الأخرى أنهم مؤمنون!

{ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا . . إن
 كنتم مؤمنين } ..

لقد ترك لهم ما سلف من الربا - لم يقرر استرداده منهم ،
 ولا مصادرة أموالهم كلها أو جزء منها بسبب أن الربا كان
 داخلاً فيها . . إذ لا تحريم بغير نص . . ولا حكم بغير تشريع
 . . والتشريع ينفذ وينشئ آثاره بعد صدوره . . فأما الذي
 سلف فأمره إلى الله لا إلى أحكام القانون . وبذلك تجنب
 الإسلام إحداث هزة اقتصادية واجتماعية ضخمة لو جعل
 لتشريعته أثراً رجعياً . وهو المبدأ الذي أخذ به التشريع
 الحديث حديثاً! ذلك أن التشريع الإسلامي موضوع ليواجه
 حياة البشر الواقعية ، ويسيرها ، ويظهرها ويطلقها تنمو
 وترتفع معاً . . وفي الوقت ذاته علق اعتبارهم مؤمنين
 على قبولهم لهذا التشريع وإنفاذه في حياتهم منذ



« وكل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين . وأول ربا أضع ربا العباس .. » ولم يأمرهم برد الزيادات التي سبق لهم أخذها في حالة الجاهلية .

فالإمام مكلف - حين يقوم المجتمع الإسلامي - أن يحارب الذين يصرون على قاعدة النظام الربوي ، ويعتون عن أمر الله ، ولو أعلنوا أنهم مسلمون . كما حارب أبو بكر - رضي الله عنه - مانعي الزكاة ، مع شهادتهم أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقامتهم للصلاة . فليس مسلماً من يأبى طاعة شريعة الله ، ولا ينفذها في واقع الحياة! على أن الإيذان بالحرب من الله ورسوله أعم من القتال بالسيف والمدفع من الإمام . فهذه الحرب معلنة - كما قال أصدق القائلين - على كل مجتمع يجعل الربا قاعدة نظامه الاقتصادي والاجتماعي . هذه الحرب معلنة في صورتها الشاملة الداهمة الغامرة . وهي حرب على الأعصاب والقلوب . وحرب على البركة والرخاء . وحرب على السعادة والطمأنينة . . حرب يسلط الله فيها بعض العصاة لنظامه ومنهجه على بعض . حرب المطاردة والمشاكسة . حرب الغبن والظلم . حرب القلق والخوف . . وأخيراً حرب السلاح بين الأمم والجيوش والدول . الحرب الساحقة الماحقة التي تقوم وتنشأ من جراء النظام الربوي المقيت



فالمرابون أصحاب رؤوس الأموال العالمية هم الذين يوقدون هذه الحروب مباشرة أو عن طريق غير مباشر . وهم يلقون شباكهم فتقع فيها الشركات والصناعات . ثم تقع فيها الشعوب والحكومات . ثم يتزاحمون على الفرائس فتقوم الحرب! أو يزحفون وراء أموالهم بقوة حكوماتهم وجيوشها فتقوم الحرب! أو يثقل عبء الضرائب والتكاليف لسداد فوائد ديونهم ، فيعم الفقر والسخط بين الكادحين والمنتجين ، فيفتحون قلوبهم للدعوات الهدامة فتقوم الحرب! وأيسر ما يقع - إن لم يقع هذا كله - هو خراب النفوس ، وانهيار الأخلاق ، وانطلاق سعار الشهوات ، وتحطم الكيان البشري من أساسه ، وتدميره بما لا تبلغه أفضع الحروب الذرية الرعيبية! إنها الحرب المشبوبة دائماً . { **فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله** } .

وقد أعلنها الله على المتعاملين بالربا . . وهي مسعرة الآن؛ تأكل الأخضر واليابس في حياة البشرية الضالة؛ وهي غافلة تحسب أنها تكسب وتتقدم كلما رأت تلال الإنتاج المادي الذي تخرجه المصانع . . وكانت هذه التلال حرية بأن تسعد البشر لو أنها نشأت من منبت زكي طاهر؛ ولكنها - وهي تخرج من منبع الربا الملوث - لا تمثل سوى ركاه يخلق أنفاس البشرية ، ويسحقها سحقاً؛ في حين تجلس



فوقه شرذمة المرابين العالميين ، لا تحس آلام البشرية
المسحوقة تحت هذا الركام الملعون!

لقد دعا الإسلام الجماعة المسلمة الأولى ، ولا يزال يدعو
البشرية كلها إلى المَشرع الطاهر النظيف ، وإلى التوبة من
الإثم والخطيئة والمنهج الوبيء : { **وإن تبتم فلكم رؤوس
أموالكم . لا تظلمون ولا تظلمون** }

فهي التوبة عن خطيئة . إنها خطيئة الجاهلية . الجاهلية
التي لا تتعلق بزمان دون زمان ، ولا نظام دون نظام . . إنما
هي الانحراف عن شريعة الله ومنهجه متى كان وحيث كان
.. خطيئة تنشئ آثارها في مشاعر الأفراد وفي أخلاقهم
وفي تصورهم للحياة . وتنشئ آثارها في حياة الجماعة
وارتباطاتها العامة . وتنشئ آثارها في الحياة البشرية كلها
، وفي نموها الاقتصادي ذاته . ولو حسب المخدوعون
بدعاية المرابين ، إنها وحدها الأساس الصالح للنمو
الاقتصادي!

واسترداد رأس المال مجرداً ، عدالة لا يظلم فيها دائن ولا
مدين . . فأما تنمية المال فلها وسائلها الأخرى البريئة
النظيفة . لها وسيلة الجهد الفردي . ووسيلة المشاركة
على طريقة المضاربة وهي إعطاء المال لمن يعمل فيه ،
ومقاسمته الربح والخسارة . ووسيلة الشركات التي تطرح
أسهمها مباشرة في السوق - بدون سندات تأسيس
تستأثر بمعظم الربح - وتناول الأرباح الحلال من هذا الوجه .

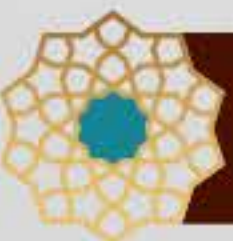


ووسيلة إيداعها في المصارف بدون فائدة - على أن تساهم بها المصارف في الشركات والصناعات والأعمال التجارية مباشرة أو غير مباشرة - ولا تعطيها بالفائدة الثابتة - ثم مقاسمة المودعين الربح على نظام معين أو الخسارة إذا فرض ووقعت . . وللمصارف أن تتناول قدراً معيناً من الأجر في نظير إدارتها لهذه الأموال . . ووسائل أخرى كثيرة ليس هنا مجال تفصيلها . . وهي ممكنة وميسرة حين تؤمن القلوب ، وتصح النيات على ورود المورد النظيف الطاهر ، وتجنب المورد العفن النتن الآسن!

ويكمل السياق الأحكام المتعلقة بالدين في حالة الإعسار . . فليس السبيل هو ربا النسيئة : بالتأجيل مقابل الزيادة . . ولكنه هو الإنظار إلى ميسرة . والتحبیب في التصدق به لمن يريد مزيداً من الخير أوفى وأعلى : { **وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة . وأن تصدقوا خير لكم . . إن كنتم تعلمون** } . .

إنها السماحة الندية التي يحملها الإسلام للبشرية . إنه الظل الظليل الذي تأوي إليه البشرية المتعبة في هجير الأثرة والشح والطمع والتكالب والسعار . إنها الرحمة للدائن والمدين وللمجتمع الذي يظل الجميع!

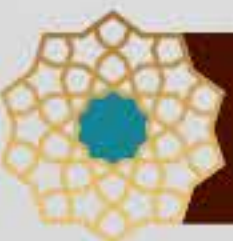
ونحن نعرف أن هذه الكلمات لا تؤدي مفهوماً « **معقولاً** » في عقول المناكيد الناشئين في هجير الجاهلية المادية





الحاضرة! وأن مذاقها الحلو لا طعم له في حسهم المتحجر البليد! - وبخاصة وحوش المرابين سواء كانوا أفراداً قابعين في زوايا الأرض يتلمظون للفرائس من المحاويج والمنكوبين الذين تحل بهم المصائب فيحتاجون للمال للطعام والكساء والدواء أو لدفن موتاهم في بعض الأحيان ، فلا يجدون في هذا العالم المادي الكز الضنين الشحيح من يمد لهم يد المعونة البيضاء؛ فيلجأون مرغمين إلى أوكار الوحوش .فرائس سهلة تسعى إلى الفخاخ بأقدامها . تدفعها الحاجة وتزجيتها الضرورة! سواء كانوا أفرادا هكذا أو كانوا في صورة بيوت مالية ومصارف ربوية . فكلهم سواء . غير أن هؤلاء يجلسون في المكاتب الفخمة على المقاعد المريحة؛ ووراءهم ركاه من النظريات الاقتصادية ، والمؤلفات العلمية ، والأساتذة والمعاهد والجامعات ، والتشريعات والقوانين ، والشرطة والمحاكم والجيش . . كلها قائمة لتبرير جريمتهم وحمايتهم ، وأخذ من يجرؤ على التلكؤ في رد الفائدة الربوية إلى خزائنها باسم القانون . . !!

نحن نعرف أن هذه الكلمات لا تصل إلى تلك القلوب . .
ولكننا نعرف أنها الحق . ونثق أن سعادة البشرية مرهونة بالاستماع إليها والأخذ بها : { وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة . وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون } .



إن المعسر - في الإسلام - لا يطارد من صاحب الدين ، أو من القانون والمحاكم . إنما ينظر حتى يوسر . ثم إن المجتمع المسلم لا يترك هذا المعسر وعليه دين . فالله يدعو صاحب الدين أن يتصدق بدينه - إن تطوع بهذا الخير . وهو خير لنفسه كما هو خير للمدين . وهو خير للجماعة كلها ولحياتها المتكافلة . لو كان يعلم ما يعلمه الله من سريرة هذا الأمر!

ذلك أن إبطال الربا يفقد شرطاً كبيراً من حكمته إذا كان الدائن سيروح يضايق المدين ، ويضيق عليه الخناق . وهو معسر لا يملك السداد . فهنا كان الأمر - في صورة شرط وجواب - بالانتظار حتى يوسر ويقدر على الوفاء . وكان بجانبه التحبيب في التصدق بالدين كله أو بعضه عند الإعسار .

على أن النصوص الأخرى تجعل لهذا المدين المعسر حظاً من مصارف الزكاة ، ليؤدي دينه ، وييسر حياته : { **إنما الصدقات للفقراء والمساكين . . . والغارمين . . .** } وهم أصحاب الديون . الذين لم ينفقوا ديونهم على شهواتهم وعلى لذائذهم . إنما أنفقوها في الطيب النظيف ثم قعدت بهم الظروف! ثم يجيء التعقيب العميق الإيحاء ، الذي ترجف منه النفس المؤمنة ، وتتمنى لو تنزل عن الدين كله ، ثم تمضي ناجية من الله يوم الحساب : { **واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله . ثم توفى كل نفس ما كسبت ، وهم لا يظلمون** } . .



واليوم الذي يرجعون فيه إلى الله ، ثم توفى كل نفس ما كسبت يوم عسير ، له في القلب المؤمن وقع؛ ومشهده حاضر في ضمير المؤمن ، وله في ضمير المؤمن هول . والوقوف بين يدي الله في هذا اليوم خاطر يزلزل الكيان! وهو تعقيب يتناسق مع جو المعاملات . جو الأخذ والعطاء . جو الكسب والجزاء . . إنه التصفية الكبرى للماضي جميعه بكل ما فيه . والقضاء الأخير في الماضي بين كل من فيه . فما أجدر القلب المؤمن أن يخشاه وأن يتوقاه .

إن التقوى هي الحارس القابع في أعماق الضمير؛ يقيمه الإسلام هناك لا يملك القلب فراراً منه لأنه في الأعماق هناك!

إنه الإسلام . . النظام القوي . . الحلم الندي الممثل في واقع أرضي . . رحمة الله بالبشر . وتكريم الله للإنسان . والخير الذي تشرده عنه البشرية؛ ويصدها عنه أعداء الله وأعداء الإنسان!





يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
نداءُ اللهِ تعالى للمؤمنينَ

النداء العاشر

علي بن نايف الشحود